# اللوبي الصهيوني وسياسة أمريكا الخارجية

2006/05/30

إن العلاقة التي تربط أمريكا بإسرائيل هي ظاهرة غريبة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلاقات الدولية، مما يجعل من شبه المستحيل أن تتكرر تلك الظاهرة ثانية. لقد بدأت تلك العلاقة - كما أشرنا سابقا - حين قامت الجالية اليهودية في أمريكا بالضغط على الرئيس ترومان للاعتراف بقيام الدولة اليهودية في عام 1948. وبالرغم من تردد الرئيس في حينه، إلا أنه وجد في النهاية أن من مصلحته التجاوب مع ضغوط الأقلية اليهودية التي كان بحاجة إلى أصواتها لكسب معركة الرئاسة الانتخابية الثانية. ولقد كانت خطوة الاعتراف بإسرائيل سابقة ترتب عليها إرساء مبدأ جديد في العمل السياسي على الساحة الأمريكية. إذ أدى السكوت على قام به ترومان إلى الإقرار ضمنا أن من حق الأقليات العرقية والدينية القيام بالضغط على صانع القرار السياسي لاتخاذ قرارات تخدم مصالح قوى أجنبية، وأن من حق المسئول الأمريكي القيام باستخدام نفوذه وموقعه لخدمة مصالح شخصية لا تتفق بالضرورة مع المصلحة العامة. وبعد حرب حزيران في عام 1967 بدأ النشاط اليهودي على الساحة الأمريكية يأخذ شكلا منظما كان من نتائجه تبلور ما سمي باللوبي الصهيوني.

قد يظن البعض أن هناك ما يكفي من المصالح المتبادلة والقيم المشتركة لتبرير هذه العلاقة غير الطبيعية، إلا أن المصالح المتبادلة قليلة للغاية والقيم المشتركة شبه معدومة، بل أن ما لدى البلدين من مصالح متبادلة يشكل عبئا على الحكومة الأمريكية وعلى مصالح وقيم الشعب الأمريكي. إن التطور الذي طرأ على علاقة أمريكا بإسرائيل والدعم اللامحدود الذي تقدمه أمريكا للدولة اليهودية جاء نتيجة لنشاطات اللوبي الصهيوني ومثابرته من ناحية، وبسبب غياب العرب الكلي عن العمل على الساحة الأمريكية وعدم وعيهم طبيعة النظام الأمريكي وكيفية التعامل معه من ناحية ثانية. وبالتدريج استطاع اللوبي الصهيوني غرس جذوره داخل المؤسسة السياسية العسكرية الأمريكية، خاصة في البيت الأبيض وفي مجلس الأمن القومي وفي وزارة الدفاع وفي كافة الأجهزة التي انيطت بها مسؤولية مكافحة الإرهاب.

لقد أثبتت حرب الخليج في العام 1990 مدى العبء الذي تشكله إسرائيل على أمريكا حين تأكد لها أنه لم يكن باستطاعتها استخدام القواعد العسكرية الإسرائيلية خوفا من انفراط التحالف مع الدول العربية التي شاركت في الحملة الأمريكية على العراق، وحين اضطرت أمريكا إلى إرسال صواريخ مضادة للصواريخ لحماية الدولة اليهودية من الصواريخ العراقية. ولقد تكررت نفس التجربة في عام 2003 حين اضطرت أمريكا إلى احتلال غرب العراق أولا لحماية إسرائيل ووضع قواتها العسكرية في خطر قبل بدء الحملة الحقيقية لاحتلال العراق، وهو الاحتلال الذي جاء خدمة للمصالح الإسرائيلية ومن اجل تعزيز أمن الدولة اليهودية. إن كل النتائج السلبية التي عادت على أمريكا بسبب دعمها المطلق للدولة اليهودية لم توقف ذلك الدعم أو تخفض حجمه، حيث استمر حجم المعونات المالية والعسكرية في تزايد، وحجم الدعم الدبلوماسي في تصاعد.

وبالرغم من كل المعونات التي قدمتها ولا تزال تقدمها أمريكا لإسرائيل ألا أن الدولة اليهودية لم تتصرف كشريك استراتيجي لأمريكا يمكن الاعتماد عليه، ولا كصديق يمكن الثقة به والاطمئنان إليه. لقد كذبت إسرائيل على أمريكا المرة تلو الأخرى، وتنكرت لوعودها بوقف عمليات الاستيطان مثلا، وقامت ببيع أسلحة وتكنولوجيا عسكرية متقدمة للهند، وبيع العديد من الأسرار الحربية الأمريكية للصين التي لا تزال أمريكا تعتبرها عدوا. ومع بداية التسلل اليهودي إلى قلب المؤسسة العسكرية والسياسية الأمريكية بدأت نشاطات التجسس الإسرائيلية على أمريكا حيث قامت بسرقة أسرار أمريكا الاستخباراتية والعسكرية والتكنولوجية وبيعها للغير أو مقايضتها مقابل خدمات كانت إسرائيل بحاجة إليها. ومن الجرائم التي حاولت الحكومة الأمريكية التستر عليها ولم تعاقب إسرائيل على ارتكابها جريمة قيام الدولة اليهودية بإعطاء المعلومات الحساسة والخطيرة التي حصلت عليها من خلال الجاسوس اليهودي جوناثان بولارد لحكومة الاتحاد السوفيتي مقابل قيام الأخيرة بالسماح بهجرة مئات الآلاف من اليهود السوفييت لفلسطين.

إن نجاح اللوبي الصهيوني في السيطرة على صنع القرار المتعلق بالشرق الأوسط أدى إلى حصول الدولة اليهودية على فوائد جمة ليس بالإمكان حصرها أو تقييمها بدقة. ولما كان الانحياز الأمريكي السافر لإسرائيل يعكس في الوقت ذاته عداء كبيرا للعرب والمسلمين فإن الضرر الذي لحق بالعرب لا

يمكن حصره أو تقدير حجمه وأبعاده الحقيقية أيضا. ولقد دأب المحللون السياسيون العرب على القول أن بإمكان أمريكا الضغط على إسرائيل وإجبارها على الانصياع للأوامر الأمريكية، وأن دعم أمريكا لإسرائيل سينتهي حال انتهاء حاجة أمريكا للدولة اليهودية. لكن الأحداث أثبتت خطأ تلك التحليلات والتوقعات بسبب خطأ فهم أولئك المحللين السياسيين للنظام الأمريكي ولمدى تغلل قوى اللوبي الصهيوني في مراكز صنع القرار الأمريكي في واشنطن. إذ بالرغم من قيام إسرائيل بتقديم بعض الخدمات لأمريكا في السابق إلا أن أهمية تلك الخدمات بقيت صغيرة جدا مقارنة بحجم وأهمية الخدمات التي قدمتها وتقدمها مصر لأمريكا.

لقد كان بإمكان العرب تحقيق الكثير من أهدافهم وحمل أمريكا على الضغط على إسرائيل للانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها في عام 1967 وتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة العربية، لكنهم أضاعوا كل الفرص التي أتيحت لهم دون وعي ودون مراجعة للأخطاء. ولقد كان من أهم الفرص الضائعة، الفرصة التي رافقت قيام الرئيس السادات بإخراج القوات السوفيتية من مصر دون مقابل، والذهاب إلى القدس والاعتراف فعليا بدولة إسرائيل دون مقابل، وقيام العرب باستئناف ضخ النفط في عام 1974 دون مقابل، ومشاركة عدة دول عربية في الحملة الأمريكية على العراق في عام 1990 دون مقابل. وفي ظل السيطرة اليهودية على عملية صنع القرار السياسي في واشنطن سيكون من الصعب جدا حصول العرب على أي شيء في المستقبل. إن كل ما حصل عليه العرب كان وعودا كاذبة وفتات مصالح خاصة تمحورت حول التزام أمريكا بحماية بعض الأنظمة، وهي حماية لا مبرر لها ولا حاجة لها في ظل سيادة السلام والاستقرار المنطقة.